ملف خاص

تلاحم الأدب بالدعوة منذ فجر الإسلام ، وكان لسانها المعبر ، وتاريخها المسطر إلى عصرنا الحاضر وسيبقى كذلك.

وإذا كان تاريخنا القديم حافلا بالأدباء الدعاة أو الدعاة الأدباء ، فإن في تاريخنا الحديث نماذج مضيئة اقتدت بأولئك الأفذاذ وسارت على منهجهم .. الأديب الداعية محمد حسن بريغش نموذج معاصر لما نقول .. كتب ونقد وأصّل في السيرة التاريخية والقصة والرواية وأدب الأطفال والتربية المنهجية .

تلقت مجلة الأدب الإسلامي هذا الحوار الذي أجري معه في المغرب ولم ينشر من قبل .

الأدب الإسلامي

في حوار مع محمد حسن بريغش:

الأدب الإسلامي ليس نظرية بل هو قديم مستمر

*** من هي الأسماء الأدبية والنقدية المفضلة لديك ؟**

لا أود تحديد أسماء معينة، لأن كل نص جيد موضع تقدير وتفضيل، وكل نقد جيد وموضوعي وبناء موضع تقدير واهتمام، وكانت مجلة الفيصل قد نشرت لي في العدد ٢٤٨ صفر ١٤١٨ هـ الموافق يونيو - يوليو ١٩٩٧ م، في صفحة ٧٨ - ٨٢، تحت عنوان (وقفات وذكريات) ما يفيد في هذا الموضوع، وهذا لايمنع من الإعجاب بأعمال أدبية لأدباء مختلفين دون النظر لميولهم وأفكارهم، وكذلك في النقد .

فلقد أعجبت ببعض الروايات لنجيب محفوظ، ولم يرتق فيما كتب إلى هذه الروايات، ولكن الشهرة غطت على كثير من رواياته، وأسهمت في قبولها ... وأعجبت بروايات حنا مينة رغم مضامينها التي لا أوافق عليها، ولباكثير روايات ومسرحيات ممتازة ولمحات ذكية، ولم يأخذ حقه من النقد، والعقاد كاتب قوي في نقده ونقاشه وعرضه لبعض الشعراء ولا سيما ابن الرومي، والمازني موهبته أدبية، والرافعي لون خاص قرأ كل ما نشر، عربي جلي العبارة، قوي

حوار: د. خالد الدادسي*
المغرب

التراكيب، عميق التصوير، دقيق في التعبير عن خلجات النفس، وسيد قطب قمة في الأسلوب الأدبي الممتع، قوي في النقد،، ذواقة قدير عميق، وعماد الدين خليل كاتب موهوب، يغطي أسلوبه على فكره، وتظهر عباراته الشاعرية في شفافيتها فيغفو على نسماتها ونعومتها وجمالها القارئ، ويقبل ما فيها، ولو كان ضعيفا أو غير صحيح، أحبه أخا عزيزا، جمعتنا أواصر الأخوة وهموم الأدب والفكر .

هنالك أسماء كثيرة جدا من القديم والحديث في مختلف فنون القول لا مجال الآن للتحدث عنها أو ذكرها .

*** ماهي اهتماماتك العلمية اليوم وماذا عن مشاريعك استقبالا ؟**

اهتماماتي الحالية في عدد من الموضوعات وأولها قضية التربية لأنها مفتاح المستقبل والتغيير نحو الأفضل . الغرب أمسك مقاليد التربية في العالم الإسلامي، وصاغ الأجيال على منوالها، ولذلك حقق هذا التفوق والسيطرة، ولم يعد بحاجة إلى جيوش ومعارك بالسلاح، والأمر في غاية الأهمية والدقة، والخلق فيه كثير وكثير من العلماء لم يعودوا يتبينون أمور التربية بشكل صحيح .

والموضوع الثاني وهو فرع من الأول، ما يتعلق بالأطفال، ومنه أدب الأطفال .

والموضوع الثالث وله علاقة بالأول وهو موضوع المرأة وإعدادها . والموضوع الرابع موضوع الأدب وتحريره من براثن المناهج الغربية ويدخل فيه الشعر والقصة والمسرح والتراجم والنقد ... وأتابع هذه الموضوعات وأعد بعض الكتب عنها .

*** أنتقل فيما يلي إلى مناقشة أعمالك الأدبية والنقدية وأستهلها بالسؤال عن سر اهتمامك بفني السيرة والقصة إبداعا ونقدا، وما حظ المعاصرين في تراجمك ؟**

اهتممت بالسيرة لأنها توفر الفرصة لرسم صورة واقعية تاريخية أمام الأجيال، ولذلك - كما قلت في بعض الكتب - لم أنظر للأمر من باب فن السيرة بقدر ما حاولت وضع صورة حية ناطقة أمام الشباب والجيل، وربما نجحت أو لم أنجح في ذلك، ولكن هذا الهدف كان واضحا أمامي .

وأما القصة فلأنها تأخذ مساحة تبلغ أكثر من نصف الإبداع الأدبي الحديث، فضلا عن أنها أصبحت وسيلة لطرح الأفكار والرؤى والفلسفات والآراء، وهي قادرة على تصوير كثير من الأمور ووضعها أمام القارئ بصورة حية فاعلة . ولذا فالاهتمام بها يفتح مجالا أمامنا لمعرفة العصر وطرح الأفكار ومناقشتها، ولا ننسى أن الله عز وجل اختار القصص في كتابه الكريم ليلفت انتباه المسلم إلى كثير من العبر ولتقرير كثير من الحقائق ولرسم خطوط المستقبل ومعالم الهدى .

أما عن تراجم المعاصرين فهي موضع اهتمام، ولا سيما أن أصحاب الآراء الغربية والمعتقدات المادية شوهوا الحقائق وصوروا الحاضر كما يريدون وكتبوا عن المعاصرين بما يحلو لهم وأوهموا الجيل الحالي أنهم هم صانعو كل شيء عن طريق ما كتبوه عن شخصياتهم ورجالاتهم بينما ظل المثقفون والعلماء الصالحون طي النسيان، وبدأ بعض الغيورين في الالتفات إلى هذا الأمر والكتابة عن عدد من الشخصيات الإسلامية في العلم والأدب والفكر والتربية والدعوة، لأنهم كانوا بناة حقيقيين، وكان لهم دور وفضل في عصرهم، ومن ذلك أن مؤسسة الرسالة ودار البشير قد بدأت سلسلة بعنوان أعلام المسلمين المعاصرين أو أعلام الإسلام المعاصرين وصدر منها ثلاثة كتب عن الدكتور مصطفى السباعي وأبي الأعلى المودودي ومحمود شاكر، وهناك أسماء كثيرة مطروحة للكتابة عنها على مساحة الوطن الإسلامي كله، وسيصدر تعريف بالسلسلة لدعوة الكتاب والقادرين على عرض صورة هؤلاء الأعلام .

*** ما رأيك بالتفصيل في الأدب الإسلامي في المغرب المعاصر والشعر منه على وجه الخصوص ؟**

إنني سعيد ومسرور باهتمام الكثيرين في المغرب بالأدب الإسلامي إبداعا ونقدا، وهناك مواهب وطاقات جيدة وممتازة وواعدة، ولكن هناك غبش - وهذا أمر طبيعي - فالغرب يهيمن على عالمنا كله بالمعلومات والأفكار والمنتجات الحديثة والاكتشافات المبهرة والتقدم التقني والمادي، وهذا الوضع - فضلا عن الهيمنة الاقتصادية والعسكرية- يؤثر في هذه الأجيال، وتختلط الحقائق بالأوهام والمادي بالمعنوي والمنتج الحضاري بالحضارة والسبب بالنتيجة . وأفكار الغرب تسوق لنا عبر الوسائل الإعلامية المختلفة وبصور أخاذة ومبهرة ومؤثرة، بل إن هذه الأفكار مبثوثة في مناهج تعليمنا في مختلف المراحل . ولذلك أضحى عسيرا التمييز الدقيق وأصبح الغبش قائما ومهيمنا، ولا أستغرب ما أراه هنا وهناك من هذا الأمر، ولا أستغرب تسرب هذه الأفكار والصور عبر إبداعاتنا المختلفة ونقدنا، وقد أشرت إلى ذلك فيما كتبت ولا سيما في كتاب «الأدب الإسلامي أصوله وسماته»، وغيره أيضا، وعندما أسهمت في الرد والتعقيب على ما قاله الدكتور عبدالله الغذامي في جريدة المسلمون وما طرح من آراء عن الحداثة .

ولذلك مع إعجابي وفرحي بالأدب الإسلامي بالمغرب، فإنني أتمنى أن يأخذ طريقه الصحيح، وأنطلق في ذلك من حقيقة واضحة وهي أن الأدب الإسلامي يعتمد على خاصيتين : الأدب والإسلامية، والإسلامية ليست اجتهادا، إنها عقيدة ربانية واضحة محددة وأحكام شرعية ومبادئ ثابتة غير قابلة للتغيير والتبديل، لأنها من الخالق الحكيم العليم الخبير، وإن محاولات البعض في هذا الأمر في تجاوز النصوص الواضحة وتفسير الأدلة نوع من الإنكار الخفي والتطاول على الله العزيز العليم، وكأننا ندعي

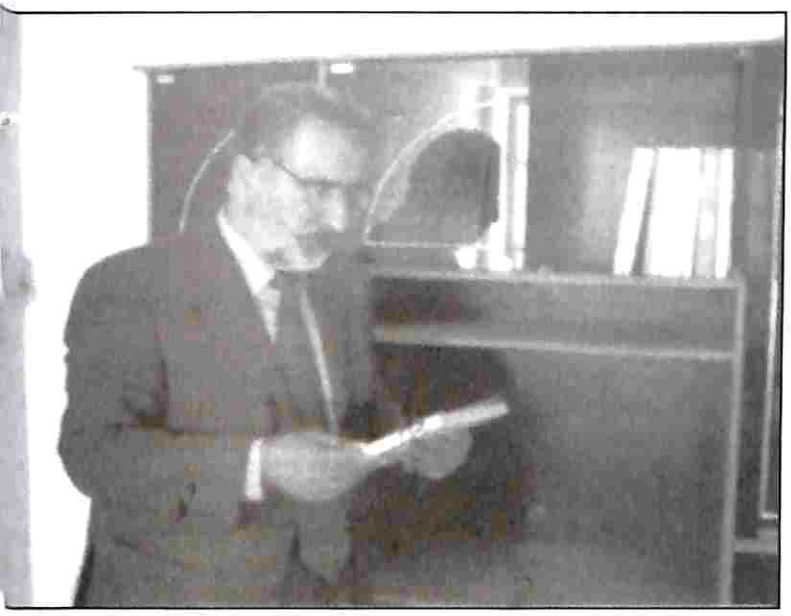

د . عماد الدين خليل

بأن الله عز وجل لم يكن يعلم أنه سيكون هناك عصر التكنولوجيا والصواريخ والحاسب الآلي والمعلومات، ولذلك فإننا نحتاج إلى رؤية تتجاوز هذا التصور، وأستغفر الله على ذلك .

إن العالم الغربي تيار جارف ظاهره الرحمة وفي داخله العذاب، وبرغم ما فيه من مظاهر مبهرة، فإن عوامل انهياره وتحطمه قائمة وتدهوره قادم بإذن الله، ونحتاج إلى نظرة شاملة ثاقبة، تتجاوز هذه المظاهر إلى الحقائق، وتتصدى للعدوان على هذه الحقائق بصبر وبصيرة ووعي، والمستقبل للإسلام، لأنه الوحيد الذي ينصر الإنسان ويحقق له السعادة والتقدم الحقيقي . الإنسان الحالي أصبح عبدا للتقنية، عبدا للآلة، عبدا لهذه الطاحونة التي لا تهدأ باسم التنمية والتطور و ..... والملايين يجوعون ويموتون والقلة الشيطانية تعبث بمقدرات الأمم وتلهو بتجارب تكلف المليارات من أجل مجد شيطاني لا طائل تحته ولا هدف إلا السيطرة والهيمنة .

لقد استطردت كثيرا وتجاوزت الموضوع المطروح، فمعذرة ...

المهم، الشعر لديكم - في نظري - سار في كثير من الأحايين - مع التيار الجارف باسم الحداثة،

وركب الموجة، وأصبح بمقدور كل من يستطيع كتابة كلمة مؤثرة أن يكتب شعرا باسم الشعر الحديث، وهناك - كما قلت - ثوابت عندنا، فالقرآن الكريم ليس شعرا، والرسول ﷺ ليس شاعرا أو لا يقول الشعر بمنطوق النصوص الثابتة الصحيحة، ولكنه بمقاييس الشعر الحديث فكثير من سور القرآن الكريم شعر وكثير من الأحاديث الشريفة شعر .... هذا تخريب - كما يصرح الحداثيون - للغة والمصطلحات والحياة كلها، يريدون صنع عالم شيطاني غير ثابت يتصرفون فيه كما يشاؤون، فلماذا نستجيب لهم، ستمضي الموجة إن شاء الله وتبقى الحقيقة .

*** ما سبب غياب الأدب المغربي في دراساتك، اللهم إذا استثنينا تلك القراءة اليتيمة في مجموعة على درب الله للريسوني، وكذا غياب الأدب الإسلامي القديم .**

أما عن غياب الأدب المغربي عن دراساتي، فلعدم توافر الوقت، وإلا لدي مشروعات لدراسة عدد من الأدباء ونتاجهم، ولدي تواصل مع كثيرين، وربما كان العمل الوظيفي يأخذ أكثر وقتي، ولا يترك لي فرصا للكتابة المتأنية، ولكن سأكتب إن شاء الله عن هذا الأدب، وكتاباتي عن الريسوني قديمة، وإن كانت تحتاج إلى مراجعة . وكذلك بالنسبة للأدب الإسلامي القديم، يحتاج إلى الوقت، ولدي طموحات كثيرة، ولكن أسأل الله العون .

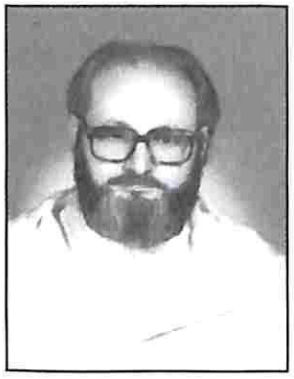

محمد منتصر الريسوني

*** يلاحظ المتتبع لدراساتك النظرية تحديدا أنك ما زلت تهتم بقضايا متجاوزة ومطروقة تتعلق بوجود الأدب الإسلامي وماهيته وحقيقته ووظيفته وسماته، إضافة إلى قضية الالتزام ونحو ذلك، ألا ترى بأن الباحث اليوم مدعو إلى الاهتمام بالموضوعات المستجدة والملحة ؟**

أما في دراساتي النظرية فهي مطروقة، ولكنها غير واضحة، فمسألة وجود الأدب الإسلامي ران عليه كثير من الغبش وأصبح المصطلح وكأنه حديث لا علاقة له بالماضي، ولهذا حرصت على إيضاح ذلك وأنه ليس نظرية، بل هو قديم مستمر، وكان لا بد من إيضاح بعض خصائصه وسماته التي لا غنى عنها، أو التي يفقد سمته الإسلامية إن غفل عنها المبدع والناقد . وهذا لا يتعارض مع الاهتمام بالموضوعات المستجدة، والملحة وإن كنت أتحفظ قليلا، فالأدب الإسلامي ينبغي أن يأخذ زمام المبادرة ويخط طريقه بثقة وصبر واستمرار حتى يصبح قائدا ومعلما، لا تابعا وملاحقا لما يطرح، أي ألا يهتم بردود الأفعال، وألا يصبح ملاحقا لما يطرحه الآخرون، وهذا الأمر يحتاج إلى تحديد واضح وإلى عمل موثق يقوم به أناس جديرون بذلك، يفهمون الإسلام، لا كفكرة وفلسفة وكتابات صحفية، وإنما عقيدة وأصولا ونصوصا وأحكاما قبل كل شيء، وكذلك سيرة وتاريخا ومجتمعا ومعاملات . وحينما يحدد الأدب الإسلامي موضوعاته وقضاياه التي ينبغي الحرص عليها، ويرسم مناهجه السليمة في مختلف الفنون الأدبية وفي النقد، وفي دراسته لتاريخنا الأدبي وتقويمه لمختلف الإبداعات الأدبية في العالم .

*** سؤال أخير : في الوقت الذي ترفض فيه الشعر الحر .. وهذا أمر يختلف فيه أدباء الإسلام في المغرب مع إخوانهم في السعودية خاصة - يلاحظ اهتمامك بدراسته، كيف تفسر هذا التناقض ؟**

اهتمامي بدراسة كل إبداع - بما فيه الشعر الحر - إذا كان جديرا بذلك أمر لا يتعارض مع رأيي فيه، فأنا أدرس الأثر الأدبي وأبرز ملامحه وسماته وصوره بغض النظر عن الشكل، وأخيرا فإنني شاكر لك على هذا الاهتمام، وعلى هذه الأسئلة التي أثارت لدي هذه الخواطر . ■